

حيوية الخطاب الشعرة عند السياب

حركية الترجيع والإنشاء :

يوظف السياب عدداً من التقنيات التعبيرية اللافتة التي تصبغ شعره بصبغة ديناميكية مدهشة، تتجاوز الإطار الذاتي المحدود لتلتحم بالتجربة الشاملة للإنسان في تقلباته وعذابه الوجودية والاجتماعية. ولأنه كان واعياً بهذا الطابع المميز لشعره، ومخالفته للتراث الرومانسي المباشر الذي كان يتكئ عليه في الأدب العربي المعاصر له، خاصة عند على محمود طه الذي افتتن به مع نازك الملائكة، فقد أراد السياب أن يعلن تجاوزه لحدود هذا الطابع الغنائي، وطموحه في أن يحقق مستوى أرقى وأشمل في إبداعه، فيبادر إلى تحديد أسلوبه الشعري قائلاً - كما ينقل عنه مؤرخوه - "لست شاعراً غنائياً، ولكنني شاعر ملحمة وقصيدة طويلة".

ولاشك أن محاولات الأولى في كتابه المطولات التي فقد بعضها، واحتفظ بشذرات من بعضها الآخر متوزعة على عدد من القصائد، تستجيب بالفعل لنزوع سردي واضح مرتبط بالروح الملحمي البطولي، تعززه طريقته المنتظمة في هيكلية نصوصه طبقاً لأنساق مقطعية مرقمة ومتوازية. لكن مصطلح "الملحمية" الذي ابتعث في العصر الحديث مقترناً بصبغة أدبية مسيحية عند كل من "إليوت" و"سيتويل" الذين ما فتئ السياب يعلن استجابته العميقة لشعرهما من جانب، كما اقترن بطابع أيديولوجي ملتزم عند الواقعيين الاشتراكيين - خاصة منذ تجارب بريخت في المسرح الملحمي من جانب آخر، هذا المصطلح لا يمثل مركز الثقل الاستراتيجي في خطاب السياب الشعري، ولا البؤرة التي تتفرع عنها تقنياته التعبيرية، وإن كان يتماس معها في بعض الأحيان كما رأينا عند تحليل أبنيته الإيقاعية. وربما كان لإحياء كلمة "الملحمة" في الوجدان العربي، وما تشير إليه من بطولات كبرى في الصراعات التاريخية الدامية، والمواقف الفذة التي يتخذها عظماء الفنانين تدخل في تطلع السياب لأن يكون ملحماً بدوره. فإذا تسائلنا عن أبرز مظاهر الحركية المتحققة في خطاب السياب الشعري وجدنا أنها متعددة ومتداخلة، وأن بوسعنا أن نشير إلى عدد منها :

- الترجيع

- الإنشاء